البرهان الصريح
في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على جمعيّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

الوهيّة المسيح في تعليمه

انّ ما سبق من وصف حياة السيّد المسيح وقداسته واعماله ومعجزاته يُعدُّ كتمهيد لبيان الوهيّته في تعليمه . لانَّ تعليم الاستاذ يكون انفذ واثبت في قلب التلميذ اذا ما وآهُ بالعيان في سيرة معلّمه . ولذلك افادنا القديس لوقا (اعمال ١ : ١) عن المخلّص انَّهُ ابتدأ « فعمل جميع الامور التي علّم بها » . وقد قال هو عزَّ جلالهُ (متى ٥ : ١٦) انَّ « الذي يعمل ويعلّم هو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . فيحقّ علينا ان نسمع معلّماً لم يلقّن تلاميذهُ شيئاً الّا وعمل بهِ ولا سيما اذا كان المعلم الهاً

جاء المسيح الى العالم ليرشد العالم اذ « كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم » (يوحنا ١ : ٩) . وكفى باسمه دليلاً على ذلك اذ هو « الكلمة » قال يوحنّا (الرؤيا ١٩ : ١٣) : « اسمهُ كلمة الله » وبهذا نطق القرآن فقال (سورة النساء ع ١٦٩) عن المسيح انهُ « رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ » فصار اسم الكلمة كميزٍ للسيّد المسيح . ومنهُ يلوح انَّ تعليمهُ حقٌّ لا ريب فيهِ يجب ان يخضع لهُ كل من يسمعهُ وانَّ من لم يسمع محقوق سيُطالب عن اعمالهِ يوم الدين

وتعليم المسيح كان الانبياء سبقوا ونوّهوا بشرفهِ واشاروا بالرضوخ لهُ قال موسى (تثنية الاشتراع ١٧ : ١٥) : « يقيم لك الربُّ الهك نبيًّا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون » . ومثلهُ قول اشعيا النبي (٢ : ٢ — ٣) : « ويكون في آخر الأيام انَّ جبل بيت الربّ يوطّد في رأس الجبال . . وتجري اليهِ جميع الامم . . . ويقولون هلمّوا نصعد الى جبل الرب الى بيت يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبُلهِ لانَّها من

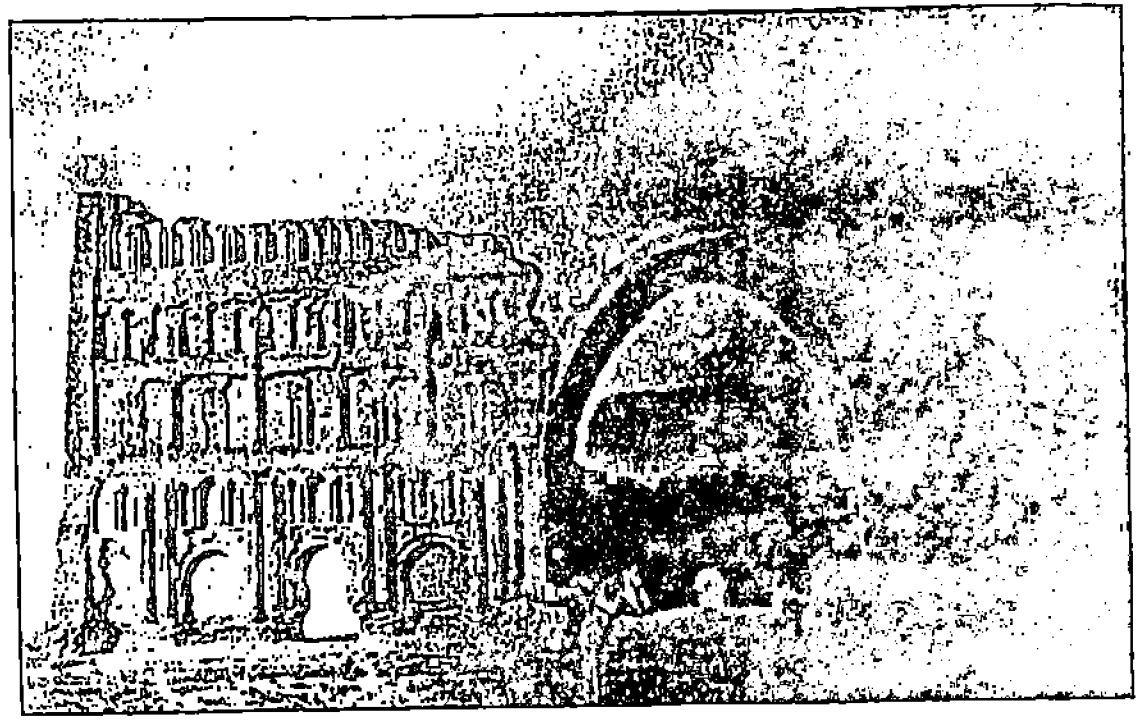

طاق کسری او ایوان کسری

صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الربّ ». وكان هذا الامر راسخاً في قلوب بني اسرائيل تدلُّ عليهِ تقاليدهم واقوال الربّانيين التي سبق لنا ذكر بعضها ومفادها انَّ الله بذاتهِ سيكلّم شعبهُ ويرشدهُ في عهد السيّد المسيح. وهذا التقليد شاع حتى بين اهل السامرة يشهد عليهِ قول السامريَّة ليسوع عند بئر يعقوب (يوحنَّا ٤: ٢٥) : « قد علمتُ انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شيء ». وقد اراد الآب الازليّ يوم تجلّي السيد المسيح على جبل الطور ان يذكّر التلاميذ بهذه الوصيَّة لما خرج صوت من السحابة يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا (لوقا ٩: ٣٥)

فاذ ثبت انَّ المسيح جاء ليعلّم وانَّهُ هو كلمة الله الناطقة التي يجب على البشر استماعها فدَعْنا ننظر بايّ شيء يمتاز هذا المعلّم عن بقيَّة المعلّمين ثم نفحص عن تعليمهِ لنتبيَّن خواصَّهُ ومضامينهُ ونستنتج من كلا الوجهين انَّ المعلّم هو الله وانَّ تعليمهُ يثبت الوهيَّتهُ

١ امتياز السيّد المسيح عن بقيَّة المعلّمين

لا يجهل احد مقام الاستاذ سواء كان في التهذيب ام في العلم ام في الصناعة حتى انَّهم كانوا يجلّونه بمثابة الوالد الطبيعيّ بل اكثر منهُ . رُوي عن الاسكندر انَّهُ سُئل : ما بالك تعظّم مؤدّبك اكثر من تعظيمك لابيك فقال : انَّ ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

اقدّم استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي الفضلُ والشرفُ
فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ وهذا مربّي الجسم والجسمُ من صدفْ

وكان بلغ بهم تعظيم الاستاذ الى ان يكنّوا عن كل محاجّة اذا قيل لهم : « قال الاستاذ »

على انَّ الاستاذ مهما كانت رتبتهُ وعلوّ شأنهِ لا ينطق باسمهِ بل هو وسيط بين الطالب وبين السُّنَن التي يلقّنها تلميذهُ فان دعا الى الادب نطق باسم الفضيلة وان دعا الى العلم تكلّم باسم الحقّ الذي لاح لهُ وقصد نصرتهُ وان قضى بالعدل جرى على مقتضى شريعة هو المثل لها والمدافع عنها. تتبّع الاساتذة في اي زمن كانوا وفي اي فنّ هذّبوا لا تجد واحداً منهم تكلّم باسمهِ كأنَّهُ هو والعلم واحد هو والفضيلة واحد

هو والشرع واحد ولو حاول استاذٌ منهم ان يفعل ذلك لصار اضحوكةً بين الناس وعدل عنهُ القوم لميس في شعوره . وعليهِ اجاب افلاطون لمن احتجَّ بتعليم الاستاذ : « انَّ الاستاذ صديقي والحقَّ صديقي . لكنَّ الحقَّ احبُّ اليَّ من الاستاذ » ففرز بين الاستاذ والحقّ الذي ليس الاستاذ الَّا ناقلًا عنهُ راوياً لسُنَنِهِ

وما نقولهُ عن اساتذة الفنون الطبيعيَّة ومعلّمي العلوم البشرية يصحُّ ايضاً في اولئك الاساتذة الكرام اعني الذين وكلَّ الله اليهم ارشاد الشعوب الانبياء والرسل فانَّهم لم يتكلّموا باسمهم بل باسم الربّ الذي ارسلهم ولذلك تسمعهم بعد أن أيّدوا بالمعجزات رسالتهم يكرّرون على مسامع الناس الذين أُرسلوا اليهم : « قال الله » . « هذه هي كلمةُ الله » . « هذا ما امرني الله ان ابلغهُ سامعكم » . « باسم الله الرحمان الرحيم » . هكذا نطق موسى النبيّ وهذا ما قالهُ اشعيا وارميا وبقيَّة الانبياء اصغرهم واكبرهم

على انَّ هذه القاعدة قد شذَّت مرَّة واحدة في تاريخ العالم . وذلك في عهد اوغسطوس قيصر وخلفهِ طيباريوس اذ قام يوماً رجلٌ لم يدخل قطّ مدرسةً عمرهُ ثلاثون سنة في مدينة من الجليل يعدُّها اليهود من احقر مدنهم وكان اسم الرجل يسوع لم يُعرَف سابقاً لا بعلم ولا بسياسة ولا ببلاغة بل كان خاملًا يرتزق قبل ذلك بمهنة النجارة . فهذا الرجل تصدَّى ايضاً للتعليم ودعا اليهِ التلاميذ من الصيّادين والامّيين فتركوا كلَّ شيءٍ ليتبعوهُ دون تردّد

ومن غريب امر هذا الرجل انَّهُ لم يباشر بالتعليم حتى امتاز من ساعتهِ عن بقيَّة المعلّمين اليهود من فريسيين وكتبة وربّانيين « فبُهت الجميع من تعليمهِ لانهُ كان يعلّم كمن لهُ سلطان لا ككتبتهم والفريسيين » (متى ٧ : ٢٨ — ٢٩) بل كان الذين يتربّصونهُ من الاعداء ويجسّونهُ ليأخذوهُ في كلمة يعودون متذهلين وصارخين : « انهُ ما نطق انسان قطّ بمثل ما ينطق هذا الرجل » (يوحنا ٧ : ٤٦) . وكانت ثقتهُ بنفسهِ بلغت بهِ الى ان يعارض بين تعليمهِ وتعليم كل من تقدَّمهُ ليزيدهُ فضلًا وكمالًا : « قد قيل للاقدمين . . . اما انا فاقول لكم . . . »

ولم يتميَّز فقط يسوع عن بقيَّة المعلمين بسلطانهِ في التعليم وببلاغتهِ في الكلام . كما انهُ لم يكتفِ بان يكون شاهداً للحق ناقلًا لكلام الله محرّضاً للناس على نهج

طريق الفضيلة بل وعد المؤمنين بهِ الحياة الابديَّة (يو ٦ : ٤٧) وانَّ الذي يسمع كلامهُ « لا يصير الى دينونة لكنَّهُ ينتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) وانَّ « من آمن بهِ وان مات فسيحيا » وانَّ « الذي يأكل جسدهُ ويشرب دمهُ سيقيمهُ في اليوم الاخير » (يو٦ : ٥٥) . فكانت هذه المواعيد تطرق آذان بني اسرائيل لاوَّل مرَّة اذ لم يسمعوا مثلها من افواه انبيائهم ولم يقرأوا في كتاب انَّ رجلاً تمهَّد بشيءٍ منها

وكأنهُ لم يرض بالمواعيد لمن آمن بهِ بل جعل نفسهُ الكلَّ في الكلِّ فلم يخجل ان يقول عن نفسهِ ما لم يخطر على بال بشرٍ قبلهُ . فقال انهُ « ابن الله » (لوقا ٢٢ : ٧٠ ويو ٧ : ٣٥—٣٧) وانهُ « في الآب كما انَّ الآب فيهِ » (يو ١٠ : ٣٨ و١٧ : ٢١) وانَّ « الذي يراهُ يرى الآب » (يو ١٤ : ٩) وانَّهُ « هو والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) وانَّ « الكلام الذي يفوه بهِ هو كلام الاب بعينهِ » (يو ١٤ : ١١)

ومثل هذا بل اغرب منهُ ما صرَّح بهِ امام تلاميذهِ وامام الجماهير المقبلة اليهِ فقال في وصف ذاتهِ : « انا نور العالم والذي يتبعني لا يمشي في الظلام » (يو ٨ : ١٢) « انا الباب ان دخل بي احد يخلص » (يو ١٠ : ٩) « انا القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) « انا الطريق والحق والحياة لا يأتي احد الى الآب الَّا بي »

فأيم الله هذا كلام لا ينطق بهِ الَّا احد ثلاثة او رجلٌ معتوه وذو جنون مُطبق او مجدِّف كافر او إله . فلا مناص من احد هذه الثلثة لأنَّ كلاماً مثل الذي ذكرناهُ لا يقول بهِ رجلٌ عاقل ولا نعلم احدًا قال عن السيِّد المسيح انَّهُ رجلٌ مجنون حتى اعداؤهُ لم يقولوا بهِ والملحدون الذين لا يقرُّون بالوهيتهِ يعتبرونهُ كحكيم عظيم . وكذلك التجديفيون لا يستطيع احد ان يثبتهُ على المسيح مع ما رأينا من قداسة حياتهِ وتأييد الله لرسالتهِ بالعجائب . فلا يبقى الَّا القول بانَّ هذا الاستاذ يفوق كل الاساتذة كما تفوق السماء على الارض والثريَّا على الثرى وانَّ المسيح معلم الهيٌّ وإله حق

ولعلَّ احدًا يزيد رابعاً على ما قلنا فيزعم انَّ الاناجيل محرَّفة الَّا انَّ المقالات المدونة سابقاً في الشرق قد تلافت هذا الاعتراض ووصدت الباب دونهُ فلنُراجع

٢ تعليم السيِّد المسيح وخواصُّهُ

لا نجهل انَّ قدماء الانبياء أتَوا ببعض ما علَّمهُ السيِّد المسيح فاثبتوا توحيد الله وقرَّروا كمالاتهِ تعالى وافادوا وجود الملائكة والارواح الشرِّيرة واعلنوا مخاوف

النفس وعواقب الانسان ونقلوا لبني اسرائيل اوامره عزَّ وجل لكنَّ كل مساعي الانبياء بقيت محصورة في امَّة واحدة قليلة العدد بينما كان الشرك يعمّ الارض كلها وعبادة الاصنام سائدة على معظم الشعوب . وكم تمرَّد الاسرائيليُّون انفسهم على ربّهم وعصوا وصاياهُ وجنحوا الى التوثن حتى انَّ الله اضطرَّ الى تأديبهم دفعات متوالية ليعودوا الى خدمته

فلما ظهر المسيح نشر تلك الحقائق ليس بين اليهود فقط بل بين الامم كلها التي كانت متكتمة في ظلمات الضلال حتى تقلَّص بعد قليل ظلّ الشرك الممتدّ على اقاصي الارض فلم يمضِ على النصرانيَّة ثلاثة اجيال حتى اخضعت لتعاليمها اوثق الشعوب تمدُّناً واعرقهم في الحضارة كما تشهد عليه الآثار العديدة الباقية الى يومنا والعاديات التي تتكرر اكتشافها في ايامنا

ثم يجب القول بان تلك حقائق الدين الطبيعي قد ارسخها السيد المسيح في عقول البشر حتى كادت تمتزج اليوم بدمهم وعليها مبنى كل شرائعهم ومعاملاتهم فبفضله وفضل دينه لم يدع للشكّ مجالاً عن وجود الله وجوهره وكمالاته وعن اصل الانسان وغايته واواخره من نعيم وجحيم . فترى في الانجيل كلّ هذه الحقائق منضَّدة موضحة بكلام بسيط قريب المنال يسطع في خلاله نور الحقّ اي سطوع بحيث يدركها العلماء والجهلاء معاً دون عناء ولا مشقَّة فتجد في صُحيفات قليلة ما لا تجدهُ في مجموع كتب الفلاسفة اجمعين بل في جميع اسفار العهد العتيق

ولم يقتصر السيد المسيح وحيهُ على الحقائق الطبيعيَّة التي لم يكد يتجاوزها معظم انبياء بني اسرائيل بل اماط الحجاب عن حقائق أخرى فائقة الطبيعة ممَّا لم تُحط به معرفة الانسان قبلاً ولم يوحِ به الى اوليائه الَّا وحياً خفيفاً غير كاف

فمن ذلك سرّ الثالوث الاقدس اي الاله الواحد في الثلثة الاقانيم الذي استشفَّهُ الآباء والانبياء كابراهيم الخليل وموسى الكليم وداود الملك واشعيا النبي كما يظهر من بعض آيات الاسفار المقدسة فجاء المسيح وكشف عنه النقاب واوضح به لبشر حقائق عن اللاهوت تسامت فوق مداركهم فتشرَّفت بمعرفتها عقولهم شرفاً لا مثيل لهُ وان لم يدركوا كنهها وجوهرها . قال ارسطو : ان معرفة القليل عن الله تفيد الانسان وتشرّفهُ اكثر من المعارف الطبيعيَّة الواسعة . فشكراً للمسيح ألف

شكر اذ ادخلنا بهذا الوحي في مقدس اللاهوت فعرّفنا ذاك الآب الذي منهُ كل ابوّة على الارض والذي منذ الازل عرف نفسهُ معرفةً جوهريةً كانت نتيجتُها ايلادهُ لابنهِ ضياء مجدهِ وصورة جوهره (عبر ١ : ٤) فاحبَّ الآب ابنهُ واحبَّ الابن اباهُ فحصل من حبّهما الجوهريّ المتبادل اقنوم بثّهُ كلاهما كمبدإ واحد وهو الروح الكلي قدسهُ

وبهذا السرّ تُناط اسرار أخرى كتجسُّد ابن الله في احشاء بتول طاهرة وكسرّ فداء البشر بموتهِ وقيامتهِ وكسرّ حلول روحهِ الاقدس على تلاميذهِ . فكل هذه الاسرار لم نكن لنطّلع عليها لولا السيّد المسيح الذي اوحى بها للعالم ورفع بها الانسان من ذلّ كيانهِ بعد ولادتهِ مدنساً بالخطيئة الجدّية الى اوج العظمة والشرف وشركهُ بلاهوتهِ كما قال القديس بطرس في رسالتهِ الثانية (١ : ٤)

وكما اعلمنا السيّد المسيح بكل هذه الاسرار التي تقصر مقدرة الانسان عن ان تنالها كذلك اوضح لنا بأنهُ اقام جماعةً على الارض جعلها مستودع تعاليمهِ وايّدها بروحهِ ووعدها بالبقاء معها الى منتهى الاجيال وجعل فيها الرئيس والمرؤوس وعصم رأسها اي نائبه على الارض عن الضلال . وهذه الجماعة إنْ هي الّا الكنيستهُ

وكذلك جعل في هذه الكنيسة ينابيع حيّة تجري الى كل اعضائها وتُنفذ في عروقهم حياةً الهيّة ترشحهم للحياة الابدية اوّلها المعمودية التي تطهرهم من الخطيئة الاصليّة . والتثبيت الذي يؤيدهم بنعمة الروح القدس ويقوّيهم في الجهاد ضدّ اعداء نفوسهم . والقربان الذي يقوت نفوسهم بطعام سماويّ اودعهُ شخصهُ الكريم تحت اعراض الخبز والخمر . والتوبة التي تعيد لهم ثوب البرارة المفقود بالخطيئة . ومسحة المرضى التي تعضدهم في الجهاد الاخير وتوّاهم لدار النعيم . والكهنوت الذي يربطهم مع الله . والزواج الذي يقدّس حياتهم الاهليّة وينميهم بالبركة والمدد

وكما فتح السيّد المسيح بواسطة الاسرار ينابيع حيّة تجري للحياة الابدية كذلك علّم البشر افضل صلاة يتقرّبون بها الى اللاهوت فضمّنها بوجيز الكلام اشرف المعاني واسمى الادعية ألا وهي الصلاة الربيّة التي لا يتأمّلها الانسان الّا يزيد منها عجباً افتتحها بكلمة « ابانا » اعذب الكلمات وادعاها الى الحبّ والثقة . واوردفها بادعية لتقديس اسم الربّ وانتشار ملكهِ ونجاز مشيتهِ ليطلب الانسان قبل كل

شيء ملكوت الله وبرّهُ ثمّ أتبعها بالمأكل الخبز اليومي والصفح عن الذنوب والنجاة من الشرّير ليقضي الانسان على الارض حياةً صالحة مع كفاف العيش فهي حقيقةً صلاة كلّ الشعوب وكلّ الازمنة وكلّ الامكنة لم يستطع ان يؤلفها الّا مكوّن قلوب البشر والعارف بافضل الوسائل لتقريب المخلوق من الخالق (١

فكلّ هذه التعاليم قد ادخلت العالم في طور جديد لم يَدُر في خَلَد انسان. فلا عجب بعد ذلك ان نرى تلاميذ المسيح يتبعون معلمهم ويموتون في سبيله فرحين. وكافي بكل واحد منهم يكرّر قول بطرس لسيّده (يو ٦: ٦٩): «يارب الى من نذهب غيرك انّ كلام الحياة الابدية هو عندك». ولا شكّ انّ يسوع تمّت نبوّة اشعيا (٥٤: ١٣) حيث قال لاورشليم: «وكلّ بنيكِ يكرنوّن تلامذة الربّ». وهي الآية التي اشار اليها السيّد المسيح لمّا قال (يو ٦: ٤٥): «قد كُتب في الانبياء انهم يكرنون باجمعهم متعلمين من الله»

هذا ما كشفهُ ابن الله للبشر من الحقائق الدينيّة سواء كانت في حيّز ادراكهم ام تفوق على مداركهم الطبيعيّة فاستحقّ بكلها الشكر المخلّد لانّهُ خير المرشدين «فمن تبعهُ لا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة» (يو ٨: ١٢)

*

لكنّ المسيح لم يوحِ فقط بحقائق تنير العقول وتنقذ المرء من الضلال بل علّم امورًا اخرى عمليّة نهجت للانسان طريق الكمال الذي لم يخطر على بال القدماء. ليس الوثنيين فقط بل بني اسرائيل ايضاً

كانت شريعة موسى شريعة العدل مرجعها الى تأدية المرء لكلّ ذي حقّ حقّهُ فللّه العبادة وللقريب المساواة. اما غاية ما وصلت اليه شريعة الحكماء وفلاسفة اليونان فذاك المبدأ الفلسفيّ الشهير: «اعرف نفسك» الذي اردفوهُ بهذا: «لا تصنع بغيرك ما لا تشاء ان يصنعهُ بك». واين اين كلّ ذاك من شريعة المسيح الفُضلى. فانّهُ عزّ اسمهُ بنى شريعتهُ على الكمال اذ وضع لتبعته مثال الكمال التام في ابيهم السماوي قائلًا (متى ٥: ٤٨): «كونوا كاملين كما انّ اباكم السماويّ هو كامل» وأعلمهم بالطريق الى هذا الكمال اي «الطريق الحرجة التي تؤدي الى

(١) راجع الكتاب الذي وضعهُ مؤخرًا الاب ي. شلتون «الشروح الوفيّة للصلاة الربيّة»

الحياة » (متى ٧ : ١٤) وما هذه الطريق الأطريق مقاومة الحواسّ وكبح الشهوات طريق الصليب التي سبق فنهجها امام البشر ودعاهم الى الاقتداء به قائلًا (متى ١٦ : ٢٤ ولوقا ٩ : ٢٣) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ كل يوم ويتبعني »

بين هذين الحدَّين جعل السيّد المسيح كمال شريعتهِ التي ليس فوقها كمال . فعلَّم البشر اوَّلًا ان يشخصوا الى السماء حيث مصدر كلّ عطيَّة صالحة فيعرفوا الههم لأن في معرفتهِ السعادة الابديَّة (يوحنَّا ١٧ : ٣) واذا عرفوهُ « احبُّوهُ بكل قلبهم وكل نفسهم وكل قدرتهم وكلّ ذهنهم » (لوقا ١٠ : ٢٢) . ولا تكون خدمتهم لهُ كما كانت في العهد العتيق خدمة العبد او الاجير فقط اعني خدمة الخوف من عقابهِ او الامل بثوابهِ بل خدمة الابن المحبّ للاب المحبوب لا يطلب سوى مرضاة ابيهِ وتتمَّة مشيئتهِ . ولذلك لقَّن السيّد المسيح تلاميذهُ اعتبار الله عزَّ وجلّ كأب حنون فيلتجئون اليهِ بكل ثقة في سائر ضيقاتهم وحاجاتهم فلا يُهملهمْ البتَّة لأن عنايتهُ تشمل كلّ البرايا حتى زنابق الحقل وطيور السماء فلا ينسى مخلوقاتهِ الناطقة المصنوعة على صورتهِ (لوقا ١٢ : ٢٠—٣٨) وان كان الناس الاشرار يعرفون ان يمنحوا العطايا الصالحة لأبنائهم فكم بالحري يمنح الآب السماويّ الصالحات لمن يسألهُ (متى ٧ : ١١) وهذا الآب يعلم بحبة عبادهِ فاذا خطئوا وانابوا الى الههم اسرع الى الصفح عنهم مهما تمادوا في الاثم كما بيَّن الرب ذلك بمثل الابن الشاطر (لوقا ١٥ : ١١—٣٢)

وبعد أن عزَّز السيّد المسيح في قلوب اتباعهِ حبَّهُ تعالى والاتكال على رأفتهِ اراد ان يوطّد فيهم حبّ الكفران بذاتهم الذي يحرّرهم من ربقة الشهوات الثلاث التي تستعبد البشر في العالم واشار اليها يوحنَّا في رسالتهِ الاولى (٢ : ١٦) فقال : « انَّ كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة » . فعلاجاً لهذه الادواء نطق السيّد المسيح بالتطويبات الثماني التي ترفع بالانسان فوق طبيعتهِ وتجعلهُ في حياتهِ الفانية اشبه بملائكة الله فقال (متى ٥ : ٣—٩) : « طوبى للمساكين بالروح . . . طوبى للودعاء . . . طوبى للحزان . . . طوبى للجياع والعطاش الى البرّ . . . طوبى للرحماء . . . طوبى للانقياء القلوب . . . طوبى لفاعلي السلامة . . . طوبى

للمضطهدين « فكما ان الله بهذه الاقوال العجيبة الاغلال التي يتقيَّد بها قلب الانسان من الشهوات الفاسدة والاميال المنحرفة ورقّى به الى ذروة الكمال

واذا تحرَّر الانسان من هذه القيود التي تأسره وتبهظهُ فكم يسهل عليهِ بعد ذلك ان يُحبَّ قريبهُ كنفسهِ . وهذه المحبة للقريب قد أبلغها السيّد المسيح الى درجة لم يتوهمها احد من المشترعين القدماء حتى موسى النبيّ . فانَّ الربَّ على خلاف الاقدمين لا يقصد فقط بالقريب الاهل او الاقارب او المحسنين او ابناء الجنس بل كل البشر حتى الاجانب والغرباء كما اوضح ذلك في مثل السامريّ الصالح الذي اعتنى بامر احد ابناء السبيل بعد ان سقط في ايدي اللصوص فعرَّوهُ واثخنوهُ بالجراح وكان مرَّ بهِ قبلهُ لاويّ وكاهن فجازا دون ان اكترث بهِ وكان الاجدر بهما ان يرحماهُ (لو ١٠ : ٣٠—٣٧)

ولم يستثنِ الاعداء من محبَّة القريب بل قضى صريحاً بمحبَّتهم حيث قال (متى ٥ : ٤٣) : « قد سمعتم انهُ قيل أحبب قريبك وأبغض عدوَّك اما انا فاقول لكم احبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يُعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانهُ يُطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين فانكم ان أحببتم من يُحبُّكم فايُّ أجر لكم أليس العشَّارون يفعلون ذلك وان سلَّمتم على اخوانكم فقط فاي فضل عملتم اليس الوثنيُّون يفعلون ذلك »

وهذه الوصيَّة بمحبَّة الاعداء قد كرَّرها الربّ مراراً على مسامع تلاميذهِ كي لا يتغلبوا للشرّ بل يغلبوا الشرّ بالخير كما قال بولس رسولهُ (رومية ١٢ : ٢١) ومن ثمَّ اراد ان يغفر الانسان للسيء اليهِ « لا الى سبع مرَّات بل الى سبعين مرَّة سبع مرَّات (متى ١٨ : ٢٢) اي دائماً بلا انقطاع . واوصى بان لا تغرب الشمس على احد وهو غضبان على اخيهِ بل يدع قربانهُ ان تذكَّر انَّ اخاهُ واجدٌ عليهِ فيترضَّاه ثمَّ يعود الى تقدمة قربانهِ (متى ٥ : ٢٢) . ومن وصاياهُ الى تلاميذهِ (متى ٥ : ٢٩) : « لا تقاوموا الشرّير بل من لطمك على خدَّك الايمن فحوِّل لهُ الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلِّ لهُ رداءك ايضاً ومن سخَّرك ميلاً فامشِ معهُ ميلين » . وقد اختصر ابو الريحان البيرونيّ هذا التعليم الالهيّ في كتابهِ المعنون « في تحقيق

ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ed. Sachau, p. ٢٨٠) قال :

« انما (اي العمرانيّة) مبنيّة على الخير وكفّ الشرّ من تَرْك القتل اصلًا وروي القصاص خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الاخرى والدعاء للعدوّ بالخير والصلوة عليه وهي لسيري سيرة فاضلة »

وما قولنا الآن ببقيّة سُنَن السيّد المسيح الذي لم يذهل عن طبقة واحدة من البشر بل عيّن للكبار والصغار للاقوياء والضعفاء للاغنياء والفقراء حقوقهم وواجباتهم فانّهُ كما امر ان نؤدّي قبل كل شيء ما لله لله امر ايضاً ان نوفي ذوي السلطة حقوقهم فنقضي الى تعاليم رؤساء الذين الجالسين على كرسيّ موسى (متى ٢٣ : ٢) ونعطي ما لقيصر لقيصر (متى ٢٢ : ٢١) لكنهُ ذكّر السادة والملوك بانّ كلّ الناس اخوة وابناء لاب واحد (متى ٢٣ : ٨) فيجب عليهم معاملة مرؤوسيهم بالرفق والمحبة بل اراد انّ الكبير بينهم يعتبر نفسهُ كالاصغر كما كان هو السيّد خادماً لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ٢٦—٢٧)

اوصى الاغنياء بالصدقات الواسعة ونشطهم بذكر الثواب فقال لهم (لو ٦ : ٣٨) : « أعطوا تُعطَوا . تُعطَون كيلًا صالحاً ملبّدًا مهزوزًا فائضاً في احضانكم لانهُ بالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ». ومع ذلك لم يشأ ان يطّلوا ويزمروا اذا فعلوا حسنةً بل اراد ان تجهل يسارهم ما اعطت يمينهم (متى ٦ : ١—٤) . وفرض الصدقة حتى على الفقراء بقدح ماء بارد يعطونهُ محبةً بالله (متى ١٠ : ٤٢) كما انهُ اثنى على الارملة التي تصدّقت بفلسين فحكم لها بالسبق على من سواها من المحسنين لأنها التمسا في الخزانة من عوزها (مرقس ١٢ : ٤٣—٤٤)

وهذه فريضة الصدقة قد اثبتها بمثال حسّي اي بمثال لعازر الفقير والغني الشرّير اللذين نالا جزاءهما فالاوّل نُقل الى حضن ابرهيم جزاء لصبره ودُفن الثاني في جهنّم لاجل قساوته وتجبّره (لوقا ١٦ : ١٩—٣١) . واردف ذلك بكلام الديّان في يوم الدين اذ يفتح سماءهُ لذوي الرحمة والمحسنين الى البائسين وينفي الى الظلمات البرّانيّة الاشرار الذين قسّوا قلوبهم على الفقراء والمساكين المثلين لشخص المسيح

وكما امر بالاحسان الى القريب تقدّم ايضاً بصون عرضهِ فلا نديمهُ لئلّا نُدان

لا نقضي على احدٍ فلا يُقضى علينا (لوقا ٦ : ٣٧). وشدَّد النكير على من يشكك قريبهُ لاسيما الصغار بينهم فينالهُ عقابٌ عظيم (متى ١٨ : ٦—٨)

هذه شرائع السيِّد المسيح بخصوص القريب وليست وصاياهُ لكل انسان بخصوص نفسهِ دونها شأناً واعتباراً فانهُ حرَّج في لزوم الصلاة والمثابرة عليها ولاسيما في السرّ مع الفرار من مديح الناس عليها (متى ٦ : ٦) اوصى بالصوم المقصود بهِ وجه الله دون نظر البشر (متى ٦ : ١٦—١٨) وكم كرَّر ذمّ الحرص والبخل ومحبَّة المال فقال (متى ٦ : ١٩) : «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يُفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يُفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون فيسرقون لانهُ حيث كنزك هناك يكون قلبك» . وجعل حبّ المال بمثابة الصنم يشركُ الانسان بالهه فقال (متى ٦ : ٢٤) : «لا يستطيع احد ان يعبد ربَّين لانهُ اما ان يُبغض الواحد ويحبّ الآخر او يلازم الواحد ويرذل الآخر . لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال»

وكما ألجم المسيح شهوة المال كذلك كبح شهوة اللذَّات الفاسدة فانهُ لم يكتفِ بان يحظِّر الزنى على البشر حكم بالزنى على مجرَّد النظر الى المرأة لشهوتها (متى ٥ : ٨). كذلك اعاد الزواج الى شرفهِ الاصلي بان انهى عن تعدُّد الزوجات وعن طلاق الزوجة الَّا لعلَّة زنىً دون الترخيص بزواج آخر ما دامت المرأة حيَّة (متى ٥ : ٣١ — ٣٢ و ١ كور ٧)

ويوافق هذه التعاليم وصايا المسيح في حفظ اللسان من الحَلَف الباطل والحنث بالأيمان (متى ٥ : ٣٣—٣٨) بل من كلّ كلمة باطلة حيث قال (متى ١٢ : ٣٦) : «اقول لكم انَّ كلّ كلمة بطَّالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جواباً في يوم الدين»

هذه بعض سُنن النصرانيَّة التي اعلن بها السيد المسيح . فليقم الآن حكم منصف من اي ملة كان وليقل لنا هل وُجد في العالم منذ انشائهِ الى اليوم في اي دهر واي وطن كان حكيمٌ او مشترع او نبيّ سنَّ بمثل سُنن المسيح او علَّم مثل تعاليمهِ بل هل يمكن ان يوجد رجل يأتي بما يقاربها . فهيهات هيهات لانَّ بين كلّ التعاليم البشريَّة وتعاليم يسوع الناصريّ بوناً كبُعد السماء من الارض ولا بُدَّ لمن يعتبرها باخلاص وتؤاهة

دون غرض وهوًى ان يقرَّ انَّ هنـاك إصبع الله بل هو الله نفسهُ ليس يوماً طبيعة الانسان وتردَّد مع البشر فاوحى للعالم بفمه القدوس اسرار السماء . فسبحان الله الكلمة الذي تنازل وجرَّد ذاتهُ الالهيَّـة لتعليمنا وطوبى للآذان التي تصغي الى تعاليمهِ وللقلوب التي تجري بمقتضاها فانَّها بلا مراء ستثمر الثمار الجنيَّة لخير الانسان في دنياه الحاضرة ولسعادتهِ في الحياة الآخرة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

G. Scialhub : Grammatica Italo-araba e Vocabolario comparativo tra l'arabo letterario e il dialetto libico (Manuali Hoepli), *Milano* 1913, XIII-396

كتاب ايطالي عربيّ في قواعد الصرف والنحو مع قاموس تشبيهي بين العربيّ اللغوي واللهجة الليبيَّة

لا يزال محلّ هُيلي في ميلانو ساعياً في نشر الكتب التعليميَّة لدرس اللغات الاجنبيَّة وممَّا اهتمَّ بنشرهِ مؤخَّرًا كتاب مفيد للايطاليين المهاجرين الى طرابلس الغرب التي دخلت في حكم بلادهم . والساعي في ذلك احد مواطنينا السوريين يوسف افندي شاهوب فعُني اوَّلًا بشرح قواعد الصرف والنحو العربيين في اللغة الايطالية ثمَّ اورد الخواصّ المميِّزة للهجة الطرابلسيين مقابلًا بينها وبين العربيَّة الفصحى واردف ذلك بمعجم لأخصّ الالفاظ المستعملة في كلتيهما راويًا لفظها بالحرف العربي والحرف اللاتينيّ . فلا شكَّ ان الاجانب ولا سيما الايطاليين المستوطنين اطرابلس الغرب يقبلون على درس هذا الكتاب ويرجعون اليهِ في معاملاتهم . وهو مع ذلك صغير الحجم انيق الطبع مُتقن التجليد ل . ش

I. Mons. C. Mola d. O. Vescovo di Sasima — Manuale per le visite alle Chiese per l'acquisto del Giubileo Constantiniano. 1913, p. 16. = II. Arcip. Paolo Pellegrini — La prima Domenica del Mese dedicata al. S. Cuore di Gesù. *Napoli, M. d'Auria,* 1913, pp. 176

فرائض اليوبيل القسطنطينيّ - اوَّل احد الشهر المخصَّص بعبادة قلب يسوع

وضع اوَّل هذين الكتابين السيِّد الايطالي مولا اسقف ساسيما فضمَّنهُ مجموع